كتاب (الطفل الموهوب)

كتاب ألفته «ماريان شيفيل» وعربه الدكتور رياض عسكر وراجعه الاستاذ احمر التركى.

يؤرقنى فى هذه الفترة من حياتنا: «المدرسة» فى مصر والمنطقة العربية حيث يشكل أبناؤنا الحاضر والمستقبل وكلاهما مستهدف ونحن على مفترق الطرق وسوف نواجه مع العالم منعطفات جديدة.

فى رأيى ورؤيتى أنه ليس التنمية أو الايديولوجيات أو الاقتصاد ليست هذه كلها على خطورتها، هى التى ستحظى بالأولوية.

الصراع سيكون بين الحضارات.. الصراع سيكون حول الثقافات ومن هنا تأتى أهمية بناء الإنسان.. الإنسان العادى والإنسان الموهوب، والطفولة، فى نظرى أهم مراحل التشكيل.

إن الأطفال الموهوبين فى شرقنا العربى قلما يحظون بالرعاية البصيرة التى تكتشف قدراتهم وتنميها فى السنوات الأولى من حياتهم المدرسية.

مع أن الأطفال الموهوبين، بهم، كبارا، ترقى الشعوب فهم نجومها وأعلامها فى الادب، والفن، والعلم، والصناعة، والحكم.

إن مسئوليتنا كبيره، فى البيت والمدرسة، ازاء المواهب ورعاية أصحابها فى وقت مبكر من حياتهم وتزويدهم بالتدريب الخاص اللازم لترقية مواهبهم بل إرشادهم فى أمورهم الخاصة إرشادا يمكنهم من إنشاء علاقات طيبة مع غيرهم بالإضافة إلى تهيئة عوامل النجاح لهم فى التلاؤم مع بيئتهم.

لقد استعمل المختصون وغيرهم مصطلحات متنوعة لتسمية الطفل الموهوب منها العبقرى والمتفوق والنبيه وما إلى ذلك وكلها تشير إلى القدرة البارزة وتؤكد التفوق العقلى.. ولكن يجب أن يؤخذ فى الاعتبار، النضج الوجدانى والقدرة على التلاؤم الاجتماعى، والصحة البدنية.

وتقول «ليناهو لنجورث» إن الطفل ذا الذكاء العالى حاجته أشد من حاجة الطفل العادى لإضافات تزاد إلى المنهج المعتاد فى المرحلة الابتدائية، وإن أغلب مشاكله تظهر فى الفترة السابقة لسن الثانية عشرة.

إن الابتكار أو الابتداع هو العلامة المميزة للموهبة ويكاد الابتكار يتلازم مع القدرة العقلية العالية المستوى.

وسواء أكانت هذه القدرة الابتكارية المقترنة بالذكاء العالى، وهو عنصرها المألوف، تؤدى فعلا إلى انتاج أشياء ذات قيمة فعلية أم لا، فهو أمر متوقف على عناصر أخرى ليس من السهل تحديدها، فهناك عامل الباعث القومى الداخلى الذى يؤثر تأثيرا ظاهرا فى الوصول نحو الكفاية القصوى.. وهناك ظروف اخرى تكيف «الانتاج أو تحكمه.. إذ كيف نعلل عجز عدد كبير من الموهوبين عن تحقيق استعدادهم تحقيقا كاملا؟ على الرغم من الذكاء العالى والموهبة الخاصة. إن التوتر والقلق على سبيل المثال (يحبس) انتاج الطفل العقلى والاجتماعى بل يمنعه من الظهور.

إذن هناك عنصر استثارة الهمة وتعهد بواعث الإنشاء والخلق وتربية الموهبة وتعهدها بالتقدير والشحذ كما يتعهد الزارع النبات بالسقيا.. حتى يعطى الموهوب عطاءه فإن واجبه نحو بيئته ومجتمعه أكبر من واجب الذين لم يكن لهم حظ من الموهبة أو الذكاء الخارق واللماح.

وقد حددت الأبحاث، إلى حد كبير الصفات التى يتمتع بها الموهوبون من الأطفال.. فالطفل الموهوب:

* لديه قدرة فائقة على التعليل وفهم المعانى والتفكير المنطقى وتمييز العلاقات.
* الطفل الموهوب أسرع من غيره فى التعلم وأيسر استجابة والتقاطا.
* يبدى حب الاستطلاع العقلى.
* لديه بصيرة نافذة فى حل المشاكل.
* ميوله أوسع مجالا من غيره.
* أكثر قدرة على القراءة وأكثر استيعابا وأقدر على الفهم وأكفأ استعمالا للغة.
* يتمتع بالملاحظة الحادة.

* يظل اهتمامه بالشيء مدة أطول وميله إلى المعنويات أكبر من ميله إلى المواد العملية.

* يصل إلى مرحلة النمو أكثر تبكيرا.

* يتفوق فى الصفات المحبوبة للشخصية.. وهو أكثر تأدية وتعاونا وطاعة وقبولا للاقتراحات.

والطفل الموهوب لطيف العشرة وهو أكثر حساسية وفى الوقت نفسه عنده روح الفكاهة.

* لديه الشجاعة فى نقد نفسه

* يستعصى على الغش

* تسنح له فرص أكثر للزعامة.

كمجموعة لا يلبثون طويلا حتى يتعدوا مرحلة الكتب المؤلفة للأطفال، وكثيرا ما يتجهون نحو كتب الراشدين ومجلاتهم. ويقل اهتمامهم بالهزليات فى وقت مبكر عن أقرانهم.

والأطفال الموهوبون الذين فى سن الثامنة يصرفون فى القراءة ثلاثة أمثال الوقت الذى يصرفه أقرانهم فيها أسبوعيا..وهم فى جميع أعمارهم قراء نهمون.

وتقول اختبارات الاستعدادات إنه مع أن عباقرة الفن فعلا أذكياء جدا إلا أنه ليس من المحتم أن يكون كل المتفوقين فى الذكاء موهوبين فى الفن بل إن البحث قد أدى فى الحقيقة إلى أن العلاقة طفيفة بين الذكاء كما تقيسه الاختبارات وبين القدرة الموسيقية أو الفنية، ولكنها أقوى بينه وبين اللغات والميكانيكا، والعمليات الحسابية.

ومن الطريف قول المؤلفة إن اختبارات الاستعداد الفنى لا يمكن أو لم تنل الثقة بها ما يبرر الاعتماد عليها فى الحكم النهائى على الاستعدادات.. ومع ذلك فقد ابتكرت اختبارات لقياس بعض القدرات الفنية.. لقد استنتج «نورمان تير» أحد مبتكرى الاختبار، بناء على بحوث تجريبية مستفيضة مستمدة من قصص حياة الناس عن أنفسهم، أن الموهبة الفنية، تكمن فى ست صفات:

* التوافق الدقيق بين العين واليد

* الطاقة والتركيز.

* الذكاء
* سهولة الإدراك (حدة الملاحظة)
* الخيال الابتكارى والحكم الجمالى

وتتحدث المؤلفة فى هذا الكتاب عن المشاكل الخاصة للطفل الموهوب. فبالإضافة إلى مشاكل النمو التى يصادفها الأطفال كلهم بدرجات متفاوتة. فإن الموهوبين منهم تصادفهم، أحيانا، مشاكل فريدة أيضا.. ومن أمثلتها ذلك الموقف العدائى الذى يتخذه بعض أقرانهم وبعض الراشدين حيال تفوقهم. ومن مصادر قلقهم أيضا نواحى العجز الناتجة من الهوة بين مستواهم العقلى المتقدم وبين نموهم الجسمى والاجتماعى والوجدانى الذى هو أقل تقدما.. ونجد سببا آخر لمشاكلهم فى المنهج الذى لا يستثير قدراتهم الممتازة استثارة كافية، أو الذى لا يعطى ميولهم المجال الكافى لتحقيقها.

وتقول المولفة بفصل خاص للموهوبين لأن الدراسة مع أقران متساوين فى العقلية يقلل من احتمال الشعور بالغرور بسبب التفوق.

ومن المبادىء الأساسية للتربية فى ظل الديمقراطية مبدأ تكافؤ الفرص وليس أبعد عن المساواة من معاملة غير المتساوين معاملة واحدة.

فعمل ترتيب خاصة من أجل الطفل الموهوب إذن إجراء ديمقراطى لأنه يمهد له الفرصة لنمو استعداداته المميزة كما يمهد الفرصة للأطفال متوسطى القدرة والضعاف.

ومع هذا فهناك رأى مقابل أو مخالف يقول بالفصل الواحد للأطفال من قدرات متباينة فهذا يتيح لهم حين يعملون معا ويلعبون معا أن يسعوا نحو أهداف واحدة وأن يضعوا الخطط سويا وأن يمروا فى خبرة التحصيل باستخدام القدرات المميزة لكل فرد. فإن مثل هذه العملية تشبه مواقف الحياة الواقعية للراشدين، وتمد الموهوبين من الأطفال بخبرات قيمة من اجتماعهم بغيرهم ممن تختلف ميولهم ومواهبهم عنهم، فيتدربون بذلك على القيادة، وعلى الانقياد بالإضافة إلى احترام كرامة الفرد.

ومن العوامل المفيدة فى نظام الفصل العادى أن الأطفال الأقل نباهة يستثيرهم وجود زملائهم الأقوياء معهم فى الفصل نفسه.. ويكاد يعادل ذلك فى الأهمية، تمكن الأطفال الموهوبين من تعلم المهارات البدنية لهم خلال الاختلاط المستمر بأطفال مدرستهم ومستوى نموهم.

والرأيان لكل منهما وجاهته.

وأحد الحلول البينية أو الوسطيه: طريقة الوحدات أى برنامج حول وحدة من الخبرة وهذه فائدتها:

* تمكين كل تلميذ من العمل بسرعة وعلى مستواه الخاص به. ونظرا لاتساع نطاق ميادين الاهتمام التى بها، تعطى التلميذ الحرية اللازمة لأقصى ما يستطيعه من استكشاف وبحث وتعبير ابتكارى ويدخل فى برامج المدرسة فى الدول المتقدمة:

- مجالس للطلبة- التحام بالبيئة وكتابة مقالات لصحف البيئة- المساهمة فى حملات البيئة واحصاءاتها أو انتخاباتها.

- مقابلة خبراء البيئة.

- استعراض شامل لموارد البيئة

وما أحوجنا إلى هذا النظام فإن معرفة البيئة، مفتاح المحافظة عليها.

ومن اهتمامات المدرسة الحديثة وبرامجها لطلبتها:

- مقابلة الطلبة.. وفى مقدمتهم الموهوبون، شخصيات من المقيمين فى البيئة كرجال الأعمال والموظفين الرسميين فى المدينة.

- دراسة موضوعات من هذا الطراز:

الحكومات- القانون البرلمانى- الدولة-

- جغرافية البيئة- تاريخ البيئة

- حياة عظماء الرجال

- حياة أحد الأبطال المحليين.

- دراسة مشكلة ما كتكاليف بناء بيت من مواد البناء والتركيبات والتوصيلات.

- استعمال الآلة الكاتبة والآلة الحاسبة وآلة السينما.

obeikandi.com

- المساهمة فى مشروع للبيئة أو فى إحدى الحملات
- القيام برحلات مستقلة لجهات فى البيئة مثل:

* جلسة فى محكمة
* بعض المصانع
* مستشفى
* مكتبة عامة
* متحف
* الادارات الحكومية بالمدينة
* مراكز المواصلات
* محطة الاذاعة
* سنترال التليفونات
* مصرف.

تعهد الابتكار فى الفنون لا يعلم وإنما يوجه ويسمح له بالانطلاق.. والشخص العطوف المستجيب الذى يعبر عن تقدير حقيقى للكتابة والتصوير والموسيقى التى ينتجها الأطفال هو خير معلم للأطفال ذوى المواهب الخاصة.. فلكى تكون المعلمة أو المعلم عندهما استعداد للاستجابة وتقبل ابتكار الطفل كتعبير عن آراء «طفل» من غير أن يفرض عليه أحد، مستويات الراشدين وتفسيراتهم ولكى تكون المعلمه عطوفا- صيغة فعول تأتى هكذا ولا يقال عطوفة- يجب أن تثبت أنها صديقة له، لأنه حين يعلم أنها صادقة فى مشاعرها نحوه سيقاسمها أفكاره أو مشاعره الشخصية عن طريق الكتابة وغيرها من وسائل التعبير واثقا أنها ستتفهم المعنى الذى يود الإفضاء به.. ولكى تقوم بتقدير جهوده الابتكارية حق قدرها يجب أن تقوم بطبع كتاباته، وتعليق صورته، لونا من التقدير والاعتزاز، وأن تجعل التلاميذ يغنون أغنيته لأن التقدير والاعتراف أمران ضروريان.

obeikandl.com

إن المدرسة ليست للتلقين ولكن رسالتها تشمل تنمية الوعى الجمالى بتحبيب الأطفال فى الزهرة والشجرة والسحابة العادية والطير الصادح.. وملمس الفاكهة وقوام النسيج.. تعلمه صداقة الأشياء فإن الخبرات الحسية، موصل ممتاز إلى الخبرة الأصلية.

يجب أن تكون المدرسة، رافعة وجدانية إلى روائع الموسيقى وبدائع الشعر والنثر والسفر فى مكنونات الأشياء الجميلة للارتقاء بالوجدان..من رسالة المدرسة احترام بكارة الإحساس عند الطفل فاذا كتب أغنية أو شكل صلصالا تقبلنا صنيعه بفرحة وتقدير أما إذا طلبنا منه تحسينه فإنه يفقد السرور التلقائى الذى بدونه يتوقف التدفق الطبيعى ويصبح إنتاجه مجرد عمل وواجب مدرسى.

إن نهر الحياة يتدفق بالروائع وفى استطاعتنا أن نعين الطفل على الارتشاف والاغتراف من السيال الدافق بتقوية الملاحظة عنده.

ومن رسالة المدرسة، إرشاد الطفل الموهوب إلى تكوين علاقات اجتماعية بخدمة الآخرين.. وهنا يأتى دور اللجان المدرسية التى يستشعر فيها أعضاؤها أن إنتاج الجماعة قد يفوق انتاج أعضائها فرادى والطفل الذى يظهر ميلا نحو الزعامة، على المدرسة أن تعلمه أن مسئولية الزعيم، استدراج الجماعة، فى دماثة، إلى المشاركة فى أعمالها واستخدام قدراتهم فيها مع عدم فرض آرائه التى وصل إليها، مقدما، على الجماعة.

وعلى البيت والمدرسة وصل الطفل الموهوب بأندية الهوايات والمنظمات كالفرق الموسيقية المدرسية والأندية الرياضية فالرياض إعداد واستعداد وهواية.

ومن رسالة المدرسة التعاون مع البيت ووضع البرامج له وتفهم بيئة الطفل الأولى وإزالة العوائق التى تعترض ظهور موهبته

وصفوة القول أن المدرسة يكون نجاحها أكمل وأسهل لو تحرت صغر حجم الفصول، وقلة الأعباء الإضافية المطلوبة من المعلمة وياحبذا لو كانت المعلمة تتمتع بالاتزان الوجدانى والنضج وعمق الثقافة وسعة المعلومات الأساسية العامة وتنوع الخبرات وارتفاع الذكاء.. فالمواهب فضل من الله الخالق ولا يعرف الفضل إلا ذووه.